

## الانسان وهفوم الزهنية في شعر ميشال سليمان

السياسة للسياسة . اما شعر الانسان ، فيبقى للانسان ، لا حدود لوجوده في قلب الازل المتحول ، كان كل حد في مدها يشكل مرحلة من تطور الانسان والوجود ، كيف نقاتل الزمن ، واماذا نقاتل الزمن ؟

ذلك هو جانب كبير من الشاعر ميشال سليمان في سائر ابداعاته الشعرية يصارع الزمن . وهل يصح فينا ، ( في الشعر ) ، الا ان تكون مصارعين في امامية الحياة . لانه من الصعوبة في موضع ان يكون للشجاعة مكان في وسط الجموع المحتشدة من اجل الوقوف فقط . . لقد كان ذلك قبل ان ياتي الشاعر ، واي شاعر ؟ انه الانسان الذي يتحدى امامية الخوف ، ليلقي على الماضي ظلا من المعرفة والذكرى . على ان الاثنين ، من الشعر ، هما قوامه المأسوي ، وعلى الشاعر ان يعيد النظر فيهما . والحق ان الشاعر ميشال سليمان قد اعاد النظر بمأسوية الشعر العربي اليانسة ، مستخرجا من اعماق الهامه اغنى الدوافع والافكار ، والصور ، والرؤى القيمة التوافق بين الغرابية والانسجام ، بحيث لا ياتي شك بان الابداع عند الشاعر ، والرؤية الجمالية ، تتشامخ وتثبت في الان نفسه حقائق العصر وحقائق التاريخ على السواء . وليست شكلا من الشيطان ، وهل ينسى الشاعر ؟. في حدود المعرفة لا يكون وقوف الشيطان ، وفي اقتحام التجربة على انها رائدة الشاعر ، لا يجوز التحدي المنفرد . غير ان امتحان الوجود يقف متحديا جذريات الشاعر والشعر ، وليكن ذلك الفارس المقتحم ، جواد ياكل الدرب حينما ويضيع في فلووات الفراغ . مضى الجواد ولكن الفارس باق يصارع الزمن ، لا من اجل البكاء على اطلال الهزائم ، ونثر زهور الرثاء (على قيادات في الامة ضللت الجيل وندت به عن جادات الصراع الفعلي)، بل على الحياة التي يصرخ عليها من قلب الفضب ، وليس من قلب الخوف كما يفهم الآخرون . . لان كأس المرارة صعب المذاق ، وطعم الحجارة اليم ، وجراح الدهر تعلم الشاعر حق الصراع ، وواجب الوقفة المتحدية . وليس في تفسير الشعراء الاخرين الا وقفة الغربة . الا انها في طريق الشاعر ، جعلته مخلوقا عجيبا ، ورسخت في اعماقه الالم الصامت . فهو وحده هذا الالم ، يصنع من كبرياته ، كبرياء الشاعر ، خلودا لا يزول ، يجسد فوق رخام القلب المنتظر علس مفارق الاتسي . انه الم الارتقاء ، تبارك اسمه وحده ، لا يزول ولا يتغير . يعطي الشاعر قدر الحياة ، ومسؤولية الكلمة البقاء . فهل سويت كلامي بمستوى رحلة ميشال سليمان الشعرية الفنية والطويلة؟

اصدقني لو انك قاضيت الامس الراحل على حساب الزمن الاتي ، لانفرت امامك صبوات الحياة ، وكانها رسوم الاحلام نندى السى الشعر ، فتصل به الى معطيات الوجود ، لتكتب عبر رمال الصحراء النائمة ، احرف الفد على حساب المرحلة الازلية ، وهي شكل من اشكال الوجود ، في صدر هذا الشاعر الصابر على بلوى نفسه، صبره على هموم اهله ورفاق دربه الطويل .

تطواف الحلم القادم وشعر الدكتور ميشال سليمان ، انسان لا يقادران الشوق الندي ، ولا يقترقان حتى في ساعات الخلاص من الابد الواقف والمسمر في شرفات الصدر البلوري . وبا لها من عيون تطل عبر مسالك القيب تقطر في نظراتها وخز الشوك والسكين ، الا انها تداوي الجراح بعطف الفضب الثوري ، وفي حمى انتظار العاصفة المجمة من « تملات العيون . . ولظى الحفد الهتون » (1)

ان انهدام الجدار الصلب ، وحتى يقوم البنيان الشامخ ، ذلك في مقومات الكلمة وهي تدخل الى حواضر البشر والمجتمعات ، تفتح امامهم منحدرات المستحيل ، تعانقهم وجها لوجه ، وكان الاختوة لا تكون الا بعد غربة الايام والزمن ، يوما فقط يقف الشاعر على عوارض الدهر ، وكانه الجزء الكلي ، يحصد ربيع الدم والفرح ، يحصد ورق الخريف والشقاء ، يضعها جبينها في كيسه الظافر ، ليقطع عبر اودية الخوف ، الا انه بشجاعة الشاعر المتحدي ، يفني لاحلامه ، وكانه يعرف هذه الترب الطويلة . لقد سافر عليها منذ نعومة اظفاره - لعل ذلك ، ومن يدري - انها معطيات الوجود . لكنه الزمن الاتي على سهوات الفضب .

ويلد للمتحدث ان يكون لوضوع حديثه بداية . ويكون الفرع عندما يقرأ المتحدث على حساب بدايته نهاية الكلمة ، وليس نهاية الموضوع . وبين فهم الكلمة على انها مثل يعطيه الشاعر في فئاته رونقا وفتنة ، وبين اشكال الاخذ بالكف الصامتة عن التعبير ، فرق لا يساويه لون من المقارنة والمثل ، لانه من حيث تبدأ رحلة الكلمة ، تكون للشاعر وقفة التحدي . اذ كيف يصح القول انه شعر بلا افتراض زمني ، لينطوي على تقدير الانسان ، وهو يرحد من طفولة طويلة طافحة باحلام الشيطان ، الى شباب مندفع ترتمي اليه الفرضيات لتكسوت مسؤولية في القيم والبقاء .

انها مشكلة الشاعر في كل زمان ، سواء كان واحدا من الناس ، ام تعدى ذلك في قطع الحدود التي يفهمها الناس . ذلك في مفهوم الاستمرار . يبقى شعر الحياة للحياة . وشعر الوطن للوطن . وشعر

عندما نقرأ قصائد من « اليك عنا ايها الليل » ، « وفجر تموز » ، « ومقاطع من رثاء الخيول الهرمة » ، « النار والاقدام الجائفة » وغيرها ... يكون لنا في تقدير العمل الشعري اكثر من رأي فسي اليقين والوضوح . ولكن الرأي الذي لا انتقاص في تعبيره ، هو ان هذا الشعر يحمل في ركينات الشعر الحديث تفتح العصب الفضيبي ، ويجعله ابدا على حدود التحرف ، ويدفع به الى مستويات القول : ان للحياة قصة يرويها الناس اجدادا على مسامع احفاد . اما عند الشاعر بالذات فلا يكون للحياة مكان قبل ان يكون الانسان هو الحياة ، التي تبني الواقع على تصميم من توق الناس ، وتبني المدينة ، تشيد لنا بسواعد قوية اسمها الصلابة في الاصلابة والوجود . ويومها فقط تنجلي امام هذا البناء اخايد الرصد في كرم النفس الشعرية ، وهي تذيب ذاتها فوق وردة بيضاء ، اسمها الحب في انقى مفاهيمه المنطبقة على الضرورة التاريخية ، تنطلق بقدرة عجيبة ضد « وحل العصر » ، وضد الخصومات الجانبية التي ترمي الى تكريس مفهوم التفرغ الذي يسجن الجوهر الانساني ، ويكبح في الانسان خلة البناء والحلم .

وتذوق تلك الاوراق البيضاء ، حمراء الازرق طيبة النفع . انها مدينة الشاعر ، وطنه ، امته . انها المدينة التي استفاقت :  
« لترى اوصالها في جوفها  
تجدل من امعائها دورا شواهي  
وتسل الدم من الاصداع ، والاضلاع ، والارجل  
تليها  
تفذي القبيضات الناعمة » (٢)  
وهي الى هذا كله :  
« وهي جليى باجنه  
جمعت في رحم الرعب اعنه  
لخيول الصائدين ... » (٣)

تلك حالة المدينة التي يسكنها الشاعر ، يعبر شوارعها وضواحيها على صهوة جواده . يتباهى بالوردة البيضاء . ويوم سقط الجواد الجامع ، صحا الفارس ، وراح في غيبوبة التأمل . فكانت مجامع الحزن وكانت القرية من جديد . اجل ! قرية الفارس ، وهو يصلي في ربوات الانتصار ، على حساب الماضي المتداعي . يهبط ويهبط ، ليكون للقاع شرف الوقوف الى جانب القمة . هذا في معطيات « العربية المحطمة فوق دروب الامل السالف . وهي لعمري التصوير البارع للاطر السياسية والاجتماعية التي حملت جيلين او ثلاثة من حياتنا العربية في مناهات الجهل حيناً ، والتجويل حيناً آخر ، وما برحت تنتقل من كارثة الى كوارث . والشعب العظيم في الخفي من قدرته ، ينتظر وينتظر حتى ليكاد يمل الانتظار .

اما في التأمل الاتي ، فليس للقاع شرف الوقوف على ربوات الذكرى .  
وهذا ما يفيد قوله :

اننا لنسئمها خطى الايام في الخارج  
تحصي وقمها الخباب اقدم صلاب عارية  
فاسمعيها يا مهازيل المراكيب الخصية  
الهاوية

وانديبه موئل الصمت ، وخلينا تبارح  
متحف الشمع نسابق  
موكب الحلم سراما

في قطار من ضياء مرهف الوقع صليب (٤)

في اصطفا الغيب ، ان نقول : وهل كان الشعر يعرف مدى

ارتياحه لنفسه ، وهو يمتطي اجنحة الريح ، يكوئها فولاذاً . واذا عبر تطواف اليادين يجدد في نفسه عزيمة البطل ، وفي روحه عنفوان النور ، ابدا يصفقها على سندان الازل ، ليكون للسمود وفقة الزمن في حركته الصاعدة ، وذلك لان « متحف الشمع » قد اعطانا ما كفانا من وجوه « حالة بالامل » . وانه امل النسيان الذي فقده الشاعر لانه امسك في عناق الاتي على صلابة التحدي والحب ، والتبرم ، وعلى هزيم الرياح التي تعصف من كل صوب :

وتسللت عبر الشقوق ذوانب حمر  
ومدت لسنوها ربح عصوف  
فتململت فسي عز هجعتها الونائق  
وتصايحت فيها الحروف  
وتداعت الالواح  
وانشقت شجوف الصمت  
وانفكت عن الناقوس ارساد  
فصاح ... » (٥)

اجل ؟ امل النسيان الهارب ، بمقابل تحديات العصر ، لموقف الشاعر الذي يابى الا ان يفجر الواقع بغية تبديله ، وادائه المثلى هي الشعر . لا الشعر الانعزالي الذي اعمته الفردية . انه شعر الانسان المزروع في حقول الايام ، المفروس على جوانب النفس الخلاقة ، التي تمضي مع الارتقاء ، وتتعامل مع معضلات الزمن ، لتكشف غوامضها وتحولها لمصلحة الانسان . وللشاعر ان يكون واحدا من الذين يرفعون ثوامخ القباب . والكلمة وحدها تعمر صيف الازل . وتساعد في الولادات الجديدة . الناس يولدون في كل زمان ، وكل مكان . يولدون بشكل عفوي . يبنون ثم يموتون . لكن مهمة الشاعر هي ان تكشف لهم سقط ما يبنون ، بل ان تساعدهم في الهجر الى العالم اصحاء وقادرين ، اشداء واقوياء ، يباعدون الموت من اجسل الحياة . اليس لثل هذا يقول الشاعر :

« شجيرات الالم ازهرت في حديقة قلبي  
فخفت اليها الفراشات الجائنة  
حطت وارتحلت  
منقلة بالرحيق  
اما فراشة قلبي  
فقد اصناعتها البحث عن زهرة من نار » (٦)

زهرة من نار ؟ لم يفقد الشاعر طاقة تحديه ، بل اعادها خلاقة في بداية الصراع ، وهو يرتقي فوق احضان الشوق الفاضب لكنه يقف ابدا فوق الرصاد ، يعصر من عناقيد الامل خورة البقاء . وهذا ما يجعل الشاعر ميشال سليمان ، في الزخم الحضاري ، يحدد موقفه من الزمن ، ومن التاريخ ، من الامسى الفابر ، والحاضر ، والفد الذي يمضي اليه بخطوات متزنة على وقع ابداع جمالي متفرد بخصائص ، فيها انه يشير ، ويهدد ، ويحمل على الدوار حيناً ، لكنه في كسل الحالات لا يهدل على القعود او الرضوخ للامر الواقع . وهذا ما يجعل على اليقين بان الشاعر يسمى في تمييز جدارية الاتي ، ويعطي انسانه معقول الحقيقة ، فيطبع في عينيه اشراق الضوء الذي لا ينتهي عند حدود الخوف .

ثم اليس لا بعد من ذلك ينشد ، وهو يرى ما تستبطن احشاء الحياة في مخاضها العسير :

وترهلت عمياء في جوف المحطات  
فناديل النموع ،  
ومراكب الاسفسار

ماتت في مطارحها عصيات القلوب

ومجازف الموج الشقي

الزيمعات هوى يسيل الرو من شط الهجوع .

جنت بما وعدت

بحرقها الحنين

ولا رجوع ...

تلو ، كما الفت

نهدها نهود الريح

تلغما النثوء الضلوع

جدلي الغصوع .. (٧)

ولا ريب في ان عذابات الزمن هنا ، وهي لولبية عوالم شعرية ،  
كلف سائر اعمال ميشال سليمان الشعرية ، وتحمل على التامل الكبير ،  
وتدفع الى النهول ، وتجعل من صاحبها شاعر نحولات الانسان  
وغضبه البصير ، وتوجه نحو عوالم جديدة ، خلال كل المعارك المشرفة  
في النضال من اجل الانسان والحرية . وذلك في اطار من القيم التعبيرية  
عن الاحساس بمصادر التناقض المأسوي ، بين احساس الشاعر ، وبين  
عاطفة الابداع ، والحزن العميق من حدودية الوجود البشري .

ان التاكل الذي يخضع له الزمن ، الكائن ، الشاعر ، هو  
مناسبة مشؤومة ، لكنها اصبحت متجاوزة بالشعور العميق والمزائل ،  
الا انه اصيل يتطلع الى المساس بكل شيء ، وارواء نهم لا يرتوي من  
معرفة اللانهاية .

وهذا ما يحمل على الظن ان ميشال سليمان ، وطرفة بن العبد ،  
قدرا . طرفة وهو يختصر الزمن قبل ان يأتي ، يسف من رمال  
الصحراء على قبره المتواضع . انها وقفة الشاعر القليل من اجل  
ان يبقى . وميشال سليمان في قدر الوجود ، غير الرؤى والغضب  
الزمني ، لكنه ابدأ من الشعر وردة الفارس الذي مر على دروب من  
احب ، فإخذ من الحب وردة بيضاء ، فيها شذا الانسان ، الا انها  
قبل كل شيء تبقى خلاصا للوفاء للقيم الانسانية ، وللشعر .. ومن  
يدري ، لعله يبحث في فجاج الارض عن قبر طرفة بن العبد - تلك  
رحلة الشاعر بين هضاب الزمن وسهوب التاريخ ، ليستنطق الحياة  
لعلها تعطيه جوابا . ومن يدري ايضا .. قد يكون لهذا الشاعر  
امل مطلق في ارض الوجود ، وهذا هو اليقين ، وباسمه يبقى لشعره  
رونق القلب التمرد ، وحزن التطلعات الانسانية الكبرى الى ما  
ينبغي ان يكون .

بيروت

### هو أمشي :

- (١) - قصيدة العاصفة - فجر تموز -
- (٢) - النار والاقدام الجائفة - فصل : « المدينة الضائعة فسي ذاتها » .
- (٣) - النار والاقدام الجائفة -
- (٤) - رثاء الخيول الهرمة .
- (٥) - رثاء الخيول الهرمة - فصل : على اكف العمر
- (٦) - رثاء الخيول الهرمة .
- (٧) - النار والاقدام الجائفة ، فصل : القناديل ورحلة الفقر .

من هنا اصبحت حياة الشاعر بقاء متحديا ، وبطولة نغمة البراة  
في ان لا تكون شمس النضال رهينة بظل الوهم والحيرة والتمزق ،  
وانما تتحول كتلة لا تتعب من سباق الميادين ، وتجدد اصالتها  
في رياح الزمن المتقلبة بين الحالي والاتي . ثم يكون الانشداد  
بزمينية الاتي حدا لا يعرف الاستقرار ، بحيث لا تستطيع ان تقطع  
شجرة واحدة من جبال ايمان الشاعر بالاتي ، ولو كان ذلك في  
ظن الاخرين ضربا من المستحيل . فقد اقسم ان يظل واقفا كالاشجار  
تتمسك حينا وتكتسي حينا اخر ، لكنها تبقى صامدة ، وان كانت  
مركبات الامس ، واطره قد رحلت في مهب العاصفة مع ركابها المنافيين .  
ولسوف يبقى صادقا مع نفسه ، ومع الحرية . « انه « سيؤيف » ،  
وهو يصارع المستحيل من اجل ان يقبسى للانسان شرف الصمود  
والتحدي . ولسوف يظل مقتحما الافاق العصية ، محطما قيوده  
العفنة ، مرتحلا الى العالم الذي ابصره في الروح والقلب ، وهذه  
حقا شجاعة الثورة ، وقوة الاعتماد على النفس العظيمة ، النفس  
العامة ، نفس الشعب التي اعطت الشاعر موهبة الشعر والخلق ،  
وكرامة الانسان .

ان زهرة الشاعر قطف النار ، وملكاه ابدأ حليات الصراع التي  
لا تفر ، في زمن الحقيقة الواقعية ، والحقيقة الشعرية على السواء ،  
وفي مواجهة الشاعر الذي لا يفاوض على الخلاص ، من خلال المراهنة  
على عفوية الزمن ، بل من خلال ان يكون الانسان هو سيد مصيره  
وسيد فعله ، وان يكون شعره ، وهو اداته المثلى والوحيدة ،  
الدافع الحامل في طبيعته معنى القوة العارضة التي اين تتجه ،  
وسيان بعد ، ان يكون شعره عذابات الزمن ، ما دام موقوفا على  
الطاء الخصاب ، المتصل بكل اسباب الومي الفني والحضاري .

## دراسات ادبية

### من منشورات دار الاداب

د . زكي مبارك  
د . جلال الخياط  
سامي خشبة  
فرانسيس جانسون  
لدولويه  
ا . ا . هوتشنر

بين آدم وحواء  
التكسب بالشعر  
شخصيات من ادب المقاومة  
سيمون دو بوفوار أو مشروع الحياة  
كامو والتمرد  
بابا همنغواي

د . طه حسين  
خليل الهنداوي  
رثيف خورني  
رجاء النقاش  
صلاح عبدالصبور

مذكرات طه حسين  
من أدبنا المعاصر  
تجديد رسالة الغفران  
الادب المسؤول  
اصوات غاضبة في الادب والنقد  
وبقي الكلمة